خطبة الجمعة: 22-8-2008 الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

((هذا ما تعلمته منكم))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير نبي اجتباه وهداً ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته نحن يا قوم عما قريب ذاهبون إلى دار هناك نقيم فيها، فلا نزول وليس فيها إلا الجنة والنار وإنه من قدم الحسنات فاز بالأولى ومن قدم السيئات أصابته الثانية فقدوا لأنفسكم فأنتم اليوم في دار عمل لا حساب فيها وغداً ذاهبون إلى دار حساب لا عمل فيها، ثم استفتح بالذي هو خير، يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ . . .وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114) ﴾ [طه]

وقال الله تعالى: ﴿ . . .نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76) ﴾ [يوسف]

عنوان خطبة اليوم:

((هذا ما تعلمته منكم يا أهل مسجد أنس))

جرت العادة أن يحدث الخطيب الناس بأشياء يتعلمونها منه لكنني اليوم سأحدثكم عن أشياء تعلمتها منكم ولا غرو أن يتعلم المؤمن من المؤمن إذا يبقى الإنسان عالم لا يتعلم فإذا ظن أنه عالم فقد جهل، وقديماً سأل سيدنا موسى من أعلم أهل الأرض فقال: أنا وهو نبي زمانه فعاتبه الله تعالى وقال يا موسى إن لنا عبداً في مجمع البحرين هو أعلم منك فلحق موسى هذا العبد وكان الخضر الذي تقرءون قصته في سورة الكهف وهكذا أيها الإخوة يفيد المسلم من المسلم ويتناصح المسلمون.

هناك أمور أربعة أحدثكم عنها أفدها منكم وهي وإن كانت معروفة سابقاً لكني رأيت فيها صوراً جديدة فيكم أحببت أن أجليها في هذه الخطبة ليتمسك بها أهلها وليتخلق بها من لا يعمل بها وليحفظها الأبناء عن الآباء.

الأمر الأول: بر الوالدين:

رأيت أكثركم يا أهل مسجد أنس باراً بوالديه أحدهما أو كليهما وأعتقد أن هذا واحد من أهم أسباب التوفيق وإني لأهيب بالباقين لأني رأيت أكثركم وبقي هناك باقون وبأولادكم وبالأجيال القادمة أن تلزم طريق البر فإنه طريق الجنة، إن البر يهدي إلى الجنة **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** ((**الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ**)) [الترمذي وأحمد والحاكم]

الوالد في اللغة يطلق على الأب والأم، هما والدان وكل واحد منهما والد، (أوسط أبواب الجنة) الوسط في اللغة العربية الأحسن الجوهرة الثمينة توضع في وسط العقد ويقال له واسطة العقد ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ خير الأمم.

((**الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ** – أحسنها- **فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ**))

والبر: كلمة واسعة أيها الإخوة فكل خير تتصورونه بر الكلمة الحسنة بر والنظر الرحيمة بر والزيارة والاطمئنان على الوالدين بر والرعاية لهما بر والإنفاق عليهما بر وإكرام صديقهما بر والقيام على خدمتهما بر والقرب منهما بر وهكذا مهما وجد في الأرض من خير فهو بر.

وأمك وأبوك أحق من تقدم لهم هذا البر بعض الإخوة الحاضرين من الشباب أعتاد ومن سنوات عديدة اعتاد أن لا ينزل إلى عمله في صباح كل يوم حتى يمر على بيت أبيه وأمه يجلس إليهما ساعة أو أقل أو أكثر يتحدث معها يسامرهما يطمأن عليهما ينال دعاءهما ثم يمضي إلى عمله عندما سأله أكل يوم تفعل هذا قال: نعم هذه عادتي من سنوات ونادراً ما أخالف هذه العادة وأمك وأبوك إذا رأياك في كل يوم عندهما يمتلأ قلبهما رضاً عليك وحنان عليك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وقد سؤل من أحق الناس بحسن صحابتي -أنا أخلاقي جيدة جداً مع أصحابي لكن من أفضل الأصحاب أصاحبه بخلق حسن ورعاية- **قَالَ: أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ**)) [البخاري ومسلم]

يعني أن أمك وأباك قبل صاحبك، يعني أن أمك وأباك قبل زوجتك وأولادك وأعمالك، وقبل أموالك وشهاداتك العالية وقبل أسفارك الكثيرة.

سيء ذلك الابن الذي تتوسل إليه أمه أن يعود إلى البلد لأنها تريده في آخر أيام حياتها أمامها ثم يتعلل بالشهادة الجامعية الجديدة أو بالمبلغ الكبير الذي سيأخذه من تلك الديار.

بعض الإخوة من الحاضرين من الرجال قارب الستين ولعله جاوزها كان له أب قارب الثمانين ولعله جاوزها قلة حركته وضعف جسده كان في صباح كل يوم يذهب إلى دار

أبيه ليعينه على تناول طعام الإفطار وليساعده على ارتداء ثيابه الرسمية وليحلق له ذقنه بنفسه ثم ليأخذ بيده وينزل معه إلى العمل ليجلسه في صدر المجلس وتاجه يتبارك بوجه أبيه ويستأنس بطلعته ويدخل السرور عليه بلقاء أصحابه وجيرانه فإذا صار وقت الظهيرة عاد به إلى البيت صلى معه الظهر وأعانه على تبديل ثيابه ثم أسلمه للفراش ورحل الابن إلى أعماله ومراراً ما سمعت الأب يترضى من كل قلبه على ولده ومراراً ما رأيت الله يتفضل على هذا الابن هداية ورعاية وأبشره بالمزيد لأن البر باب عريض لسعادتك في الدنيا وفي الآخرة، **قال رسول الله صلى الله عله وسلم**: ((**رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ**)) [الترمذي وابن حبان والحاكم]

بعض الإخوة ضم أمه إلى بيته، هنيئاً له قال لي أحد أولاده إذا أمرت جدتي في البيت أمراً فالأمر أمرها وكلنا رهن إشارتها إنه البر.

بعض الإخوة الشباب تناوبوا في الإقامة عند أمهم كل يوم أخ يخدمونها بأنفسهم ولم يتركونها للفلبينيه خدموها بنفسهم يرعونها ويدخلون السرور عليها ومرة قالت لأحد أولادها: يا ولدي إني أرى أن لا عمل لي في الحياة وأنا أثقل عليكم جميعاً قال الابن: أمي تقولين لا عمل لك الآن عملك الكبير لئن دعوت لنا بالرضا فقد فتحت لنا باب سعادة في الدنيا وفي الآخرة إنه البر.

بعض الرجال منكم إذا ذكرت أمه أمامه وقد توفيت من سنوات عديدة أرى دموعه في عينيه حباً وحناناً وشوقاً إنه البر.

بعض الإخوة جاءني بأمه إلى العيادة فكان لا يخاطبها إلا بقوله أيتها الأميرة وإذا سألته أنا عن نوع من أنواع المعالجة يقول لي سل سيدتي علماً أنه أستاذ في الجامعة يقول سل سيدتي الأميرة فالقول قولها إنه البر.

وهكذا يا أيها الإخوة رأيت أكثركم باراً بوالديه والحمد لله وأنا الآن أخاطب الباقين وأخاطب الجيل الجديد لأقول إن سعادتكم كلها مرهونة ببر آبائكم وأمهاتكم بل اعلموا أن سعادة مجتمعنا كله مرهونة ببر الأبناء للآباء نحن ورثنا يا شباب عن آبائنا وأجدادنا وأصولنا البر فلنكن بارين حتى ينظر إلينا البر ببره وخيره وهذه واحده بر الوالدين.

الأمر الثاني: الذي تعلمته منكم صوراً جديدة له وسررت بمرآه عليكم الأدب:

رأيت كثيراً منكم ملتزماً الأدب يحترم الكبير يعطف على الصغير يعطي للعالم حقه يحلم على الجاهل يعتذر إذا أخطأ يستأذن للكلام يشكر على المعروف يغض بصره عن عيوب الآخرين يجتهد أن لا يغتاب أحدا وغيرها من الآداب **وإن الأدب ليجلس المملوك في مجالس الملوك وإن قلة الأدب لتذهب بمكانة الرجل وبمكانه**، إن حسن الخلق دليل حب الله للعبد وإن سوء الخلق دليل بغضه والأدب زين وقلته شين وحسن الخلق رفعه وسوءه ضعف، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**: ((**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَتَ الْقَوْمُ فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا قَالَ الْقَوْمُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا**)) [البخاري في الأدب المفرد واحمد]

كلما دخلت إلى حفلة عرس من أعراسكم واقتربت من إحدى الطاولات لأسلم على رجالاتها قام الرجال منتصبين على أقدامهم ليردوا السلام أحسن الرد وربما كان فيهم المريض أو الرجل المسن الذي استحي منه والله أن يقوم لي وكم سألته أن لا يفعل لكن أدبه الجم واحترامه للعلم يأبيا عليه إلا أن يقوم، وقديماً دعا هارون الرشيد مؤدب أولاده إلى طعامه، هارون الرشيد الخليفة المسلم كان يخاطب الغيم في السماء وكان ملكه في الشرق والغرب دعا مؤدب أولاده وكان اسمه **أبو معاوية الضرير** وكان ضريراً لما أنهى المعلم الطعام مع الخلقة قام الخليفة ليأخذه إلى الماء ليغسل يديه ثم صب الخليفة الماء على يد المعلم يفعل معه كما يفعل الأجير مع معلمه، لما عاد المعلم وجلس قال له الخليفة أتدري

من صب الماء على يديك يا أبا معاوية قال لا! هو ضرير ظنه الخادم قال فإنه أمير المؤمنين هارون الرشيد قال لقد أعززت العلم يا أمير المؤمنين.

الأدب يرفع الرجال ويعلي مقاماتهم وإني لأسر كلما سمعت شاباً منكم ولعله بلغ الثلاثين والأربعين يخاطب من هو أكبر منه بقوله يا عم فلان ولا يرضى أن يناديه باسمه أو بلقبه احتراماً وأدبا وإنك لتفخر إذا كنت في الطريق تريد أن تقطعه فتجد من يقود السيارة يوقف سيارته لتقطع الطريق مشياً براحة وهدوء إنه الأدب، بل لعلك تقف على إشارة مرور وأنت تقود المركبة وبينما الإشارة حمراء تلتفت يمنة لتجد أن السيارة التي على يمينك لواحد من رواد المسجد تسلم عليه ويسلم عليك حتى إذا ظهر اللون الأخضر على إشارة المرور لم يرضى أن يسير بمركبته حتى تسير أنت أولاً أدباً منه واحتراماً وحسن خلق.

الدين أيها الإخوة كله أدب **ومن زاد عليك في الأدب زاد عليك في الدين**، الدين كله خلق **ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين** **سؤل رسول الله صلى الله عليه وسلم**: عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: ((**تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ**)) [الترمذي وأحمد]

الأمر الثالث: التواضع

رأيت في بعضكم التواضع الذي يرفع العبد في الدنيا والآخرة أما إعجاب المرء بنفسه علماً أو مالاً أو جاهاً أو قوة أو وسامة وأما إعتداد المرء بما عنده علماً أو مالاً أو جاهاً أو قوة أو وسامة فإنه سبب بعده عن الحق وبغضته إلى الخلق قال سيدنا عمر وهو على المنبر يا أيها الناس تواضعوا فإني **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول**: ((**من تواضع لله رفعه الله فهو فى نفسه ضعيف وفى أنفس الناس عظيم ومن تكبر وضعه الله فهو فى أعين الناس صغير وفى نفسه كبير**)) [أبو نعيم وأحمد والبزار]

أخٌ كريم له رتبة عليمة ومالية واجتماعية عالية إذا احتاج المسجد إلى مساعدة تقنية أو فنية أو عليمة منه جاء بنفسه ليشرف على العمل أو ليصنعه بيده ولم يرضى أن يرسل سائقاً أو عاملاً أو موظفاً عنده تواضعاً منه لله تعالى وأدباً وربما طلبت إليه الأمر ولم يكن باستطاعته الحضور فاعتذر اعتذراً جماً وكأنه مسيء إساءة كبيرة لأنه لا يستطيع الحضور للمشاركة بنفسه ولأنه سيرسل موظفاً عنده أو عاملاً ليجري هذا العمل مع أن مكانته عالية جداً في العلم والطب ورتبته الاجتماعية والمالية عالية جداً لكنه التواضع الذي يزيد رفعة إلى رفعه.

الأمر الرابع: ما أسميه السر

أما معنى كلمة السر فإليكم بيانها في هذه القصة خرج سيدنا عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين في سواد الليل فرآه طلحة فتبعه ذهب عمر فدخل بيتاً لا يعرفه طلحة مكث فيه ساعة من الليل أو أكثر ثم خرج وطلحة ينتظره على فم الدار خرج عمر من ذلك البيت وعاد إلى داره لما أصبح الصباح ذهب طلحة إلى ذلك البيت يريد أن يعرف عمر في الليل ماذا يفعل في بيت غريب لما أصبح الصباح ذهب طلحة إلى ذلك البيت قرع الباب فإذا بعجوز عمياء مقعده فقال يا خالة ما بال هذا الرجل يأتيك من الليل قالت يا ولدي إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى فقال طلحة لنفسه ثكلتك أمك يا طلحة عثرات عمر تتبع أتظن أن عمر دخل داراً ليسيء فيها إلى امرأة.

السر أيها الإخوة عمل صالح تخفيه عن الناس تقضي به حاجاتهم لتدخره عند الله تعالى ذخرا وقد رأيت لبعضكم أسرارا اكتشفتها دون علمهم وربما علمتها بطريق الصدفة **قال النبي صلى الله عليه وسلم**: ((**ابْغُونِي ضُعَفَاءَكُمْ**- هل تريدون أن تكونون معي هل تريديون أن تجتمعون بي أنا موجود عند الضعفاء-**فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**)) [الترمذي وأحمد وأبو داود]

وقد رأيت لعدد منكم سراً بينه وبين الله ولعلي علمت به مصادفة ربما كان سره دمعة يزرفها بالليل أو قبل الفجر على تقصيره بين يدي ربه ربما كان سره إنفاقاً على أسر لا يعلم بحالها إلا الله ربما كان مشروعاً خيرياً يبذل له ما الله به عليم ربما كان مساعدة لعمل إسلامي دعوي يخدم به البلاد والعباد ربما كان كفالة لأيتام ربما كان كفالة لطالب علم أو طلاب ربما كان تزويجاً لشباب يساعدهم على العفاف.

المهم أن له خبيئة عند الله إن كنت من أصحاب السر فهنيئاً لك وإن لم تكن فبادر لأن الآخرين قد يسبقوك يا أيها الإخوة البر والأدب والتواضع والسر أمور كنت أعرفها لكني رأيت فيكم صوراً جديدة تعلمتها منكم نسأل الله لها القبول والثبات والزيادة والحمد لله رب العالمين أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين استغفر الله.